الهدي النبوي: وأثره في إصلاح الفرد والمجتمع

✍ د. محمد عادل خان[1]

drmuhammadadil@hotmail.com

إنَّ الرسالة المحمدية والسيرة النبوية – على صاحبها الصلاة والسلام – رسالة كاملة باقية، وسيرة جامعة شاملة، لا ينقص منها شيء يتعلق بصالح البشرية وفائدتها، ولاتنتهي بانتهاء القرون والأجيال، وهي تشمل جميع شؤون حياتها وأمورها، وتحتوي على كافة أحوالها وظروفها، من علاقته بالرب ﷻ، وصلته بخلقه، وأبناء جنسه، وعيشته مع أهل قرابته وصهره ونسبه.

وإن الأحاديث النبوية التي وصلت إلينا عبر القرون والأجيال بوسائط متينة، وذرائع مختلفة، هي تحمل بين طياتها وعباراتها جميع مايتعلق بهذه الرسالة الكاملة، والسيرة العظيمة، وأصولها وأجزائها. وإن بداية الدعوة النبوية وقيام النبي ﷺ بإصلاح الفرد وتكوين المجمتع، وجهوده الجبارة المستخدمة في هذه البغية لجانب عظيم من جوانب سيرته وحياته، فهي النقطة التي تدور عليها سيرته الدعوية وقيامه في مجمتع مكوّن من أفراد كلهم أجمعوا على الصلاح والخير، فعاشوا والقرآن ينطق بمكانتهم وعظمتهم بأنهم: رضي الله عنهم، ورضوا عنه.

---

[1] الأستاذ المساعد في قسم الدراسات الإسلامية بالجامعة الإسلامية العالمية بماليزيا.

وبذلك تَسَنّى لخلق الله في أرضه أن ترى عليها فئةً من البشرية، تعيش في بيئةٍ مطمئنةٍ صالحةٍ – ترعى أوامر الله ونواهيه، وتحترم الإنسانية وحاجاتها ومشكلاتها – على الرغم من قلة الأسباب المتكَفّلة لصالح الحياة الإنسانية، وتوارد المشاكل الخارجية الجماعية والانفرادية الأخرى التي تعود بين لآخر لأصحاب هذه الدعوة الكريمة، ولا تخلو منها حياة داعٍ في مرحلة من مراحل دعوته، ولا مجمتع دعوي في قرنٍ من قرونه. فقال ﷻ: ﴿مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ ٱللَّهِ ۚ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ أَشِدَّآءُ عَلَى ٱلْكُفَّارِ رُحَمَآءُ بَيْنَهُمْ ۖ تَرَىٰهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنًا ۖ سِيمَاهُمْ فِى وُجُوهِهِم مِّنْ أَثَرِ ٱلسُّجُودِ ۚ ذَٰلِكَ مَثَلُهُمْ فِى ٱلتَّوْرَىٰةِ ۚ وَمَثَلُهُمْ فِى ٱلْإِنجِيلِ كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْـَٔهُۥ فَـَٔازَرَهُۥ فَٱسْتَغْلَظَ فَٱسْتَوَىٰ عَلَىٰ سُوقِهِۦ يُعْجِبُ ٱلزُّرَّاعَ لِيَغِيظَ بِهِمُ ٱلْكُفَّارَ ۗ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ مِنْهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًۢا﴾ [الفتح: ٢٩].

والأحاديث الواردة في بيان دعوته وإصلاحه، وقيامه بتكوين بيئة صالحة تدل على أنه قائم على أساس الربط بين العبد والرب، والعلاقة بين الفرد والمجتمع، فالعبد الذي لايعرف ربه ويجهل عظمةَ شأنه؛ حُرم من الخير والكرامة، والفرد الذي لا يمشي مع المجتمع ولا يُقدِّر له احترامَه لا يأتي بخير ينفع به؛ وإنما هو غايته الإكثار من فائدته، والعكوف على جلب النفع إليه لا إلى غيره، والإنسانية المضطربة ليست بحاجة اليوم إليه، وإن كانت الدنيا ملآن من أمثاله وذويه.

وإننا اليوم والأمة الإسلامية جمعاء نقابل بأزمات مختلفة، ومأساة شديدة، ولكن أكثرها يرجع إلى خلل في حياتنا وفي سلوكنا، فربما تَوخّينا أغراضَنا وعظّمناها؛ حتى كدنا أن ننسى ما يجب علينا رعايته في حياتنا بالنسبة إلى أغراض الآخرين، ومصالحهم، فالمسلم يعتقد نفعَ أخيه نفسَه نفعَه؛ لأنه يراه برؤيته نفسَه، و يظنه منه، كأنه بعض منه!

فها هو نحن – وكل داع إلى صالح البشرية وفائدتها – اليوم بأمس حاجة إلى أن نقف على الأمور الأساسية التي اختارها رسول الله ﷺ لأجل الإصلاح والتربية، والتي بها قوام

الحياة الطيبة في الدنيا والفوز والنجاح في الآخرة، وأن نسلكها في سبيل دعوتنا وقيامنا بإصلاح الفرد والمجتمع، وأن نتحرز بشدة من كل مايضادها، ويأتي بنتائج خاسرة ومشاكل مضعفة.

وإن حديثنا عن هدي النبي ﷺ في إصلاح الفرد وتربيته، وتكوين المجمتع الإنساني الصالح؛ يتجمع في نقاط ثلاثة كما تلي:

النقطة الأولى: توطيد العلاقة بين الفرد والمجتمع، وآثارها في التربية والإصلاح:

إن الصلة بين الفرد والمجمتع، والعلاقة المتينة بينهما لها مكانة وأهمية كبرى في صلاح الفرد وتكوين المجمتع الإنساني القائم على عبادة الله ورعايته، ورعاية عباده ومصالحهم، وقد جاء في غير واحد من آيات كتاب الله، وأحاديث رسول الله ﷺ بيان هذا وتوكيد معناه بأن القيام بتربية الناس، و هدف تزكيتهم لايتوصل إليه إلا بالتودد والرأفة، والوثاق والمعونة بينهم، وكلما زادوا منه زادوا من الأول كثيراً؛ صلاحاً ورشداً، بركةً وسعادةً، طمأنينةً ورفاهيةً.

قال الله ﷻ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقۡنَٰكُم مِّن ذَكَرٖ وَأُنثَىٰ وَجَعَلۡنَٰكُمۡ شُعُوبٗا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓاْۚ إِنَّ أَكۡرَمَكُمۡ عِندَ ٱللَّهِ أَتۡقَىٰكُمۡۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٞ﴾ [الحجرات: ١٣]، مخبراً بأن الناس أجمعين بينهم صلة وقرابة، يجب عليهم احترامها ورعايتها، على مختلف الشعوب والأقوام، وليس هذا الفرق بين شعوبهم وقبائلهم إلا ليتعارفَ بعضُهم على بعض في النسب، فيزيدهم حباً وعرفاناً، لا للتناكر عن الآخرين واحتقارهم. فالفضيلة والكرامة في التقوى من الله، وليست في دمٍ وعرقٍ دون آخر.

وأكّد ﷻ هذا المعنى في آية أخرى بأنه ليس للإنسان أن يكون مغروراً بحاله وترحاله، ولاله أن يفتخر بحسبه ونسبه، فيحقر أحداً غيره؛ إذ الكل سواء في خلقهم ونشأتهم، وليست له مزية على غيره، وقال: ﴿وَٱللَّهُ خَلَقَكُم مِّن تُرَابٖ ثُمَّ مِن نُّطۡفَةٖ ثُمَّ جَعَلَكُمۡ أَزۡوَٰجٗاۚ

وَمَا تَحۡمِلُ مِنۡ أُنثَىٰ وَلَا تَضَعُ إِلَّا بِعِلۡمِهِۦۚ وَمَا يُعَمَّرُ مِن مُّعَمَّرٖ وَلَا يُنقَصُ مِنۡ عُمُرِهِۦٓ إِلَّا فِي كِتَٰبٍۚ إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٞ [فاطر: ١١]، وبيّن ﷻ في هذه الآية: أن الخير لايأتي إلا بطلبه، والشرَّ لا يُدفع إلابالقيام بدفعه، وبهذا يتكوّن المجتمع ويُحافظ عليه، والمؤمنون الذين أقرّوا بوحدانيته وجميع صفاته، ورسالة نبيه ﷺ و يؤمنون بالآخرة هم بعضهم إخوة بعض، وبدأت آثار هذه الأخوة الإيمانية تظهر فيهم، فمن عادتهم وخلقهم أنه يأمر بعضهم بعضاً بالخير، ويدله على أبواب السعادة، وينهاه عن منكر يرونه منه؛ مخافة ما يُورِث الشرَّ و الوخيمةَ في الدنيا والآخرة.

فقال الله ﷻ: ﴿وَٱلۡمُؤۡمِنُونَ وَٱلۡمُؤۡمِنَٰتُ بَعۡضُهُمۡ أَوۡلِيَآءُ بَعۡضٖۚ يَأۡمُرُونَ بِٱلۡمَعۡرُوفِ وَيَنۡهَوۡنَ عَنِ ٱلۡمُنكَرِ وَيُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤۡتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَيُطِيعُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓۚ أُوْلَٰٓئِكَ سَيَرۡحَمُهُمُ ٱللَّهُۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٞ﴾ [التوبة: ٧١]. وقال تعالى: ﴿لَّا خَيۡرَ فِي كَثِيرٖ مِّن نَّجۡوَىٰهُمۡ إِلَّا مَنۡ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ أَوۡ مَعۡرُوفٍ أَوۡ إِصۡلَٰحِۭ بَيۡنَ ٱلنَّاسِۚ وَمَن يَفۡعَلۡ ذَٰلِكَ ٱبۡتِغَآءَ مَرۡضَاتِ ٱللَّهِ فَسَوۡفَ نُؤۡتِيهِ أَجۡرًا عَظِيمٗا﴾ [النساء: ١١٤].

ففي هاتين الآيتين أكّد ﷻ بأن القيام بالإصلاح وتكوينِ البيئة على الخير والفضيلة واجبهم جميعاً، ولا يبقى مجتمع – نشأ على الخير– على ما كان فيه من الخير السابق حتى يتواصلوا جهودَهم ويجمعوا رأيَهم و فكرَهم لأجل الحِفاظ عليه وجلبِ النفع وأسبابه، ودفع الضرر وطرقِ الشرِّ كلّها.

وهذا هو أساس الخير والسعادة في مجتمع المسلمين، فلا يظنن أحد منهم أنه لا شأن له في ما يفعله أخوه وجاره وقريبه، وأنه لا يقع في أمر غيره، بقولته: أنه يعقل ويفهم بنفسه أموره، وهو حُرٌّ في رأيه وعمله، يَحِقُّ له ما يأتي ويقول أو يفعل. فهذه أصواتُ شرٍّ عند المسلمين لاخير فيها. قال الله ﷻ: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَهَاجَرُواْ وَجَٰهَدُواْ بِأَمۡوَٰلِهِمۡ وَأَنفُسِهِمۡ

فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَٱلَّذِينَ ءَاوَواْ وَّنَصَرُوٓاْ أُوْلَٰٓئِكَ بَعۡضُهُمۡ أَوۡلِيَآءُ بَعۡضٖۚ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَلَمۡ يُهَاجِرُواْ مَا لَكُم مِّن وَلَٰيَتِهِم مِّن شَيۡءٍ حَتَّىٰ يُهَاجِرُواْۚ وَإِنِ ٱسۡتَنصَرُوكُمۡ فِي ٱلدِّينِ فَعَلَيۡكُمُ ٱلنَّصۡرُ إِلَّا عَلَىٰ قَوۡمِۭ بَيۡنَكُمۡ وَبَيۡنَهُم مِّيثَٰقٞۗ وَٱللَّهُ بِمَا تَعۡمَلُونَ بَصِيرٞ ﴿٧٢﴾ وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بَعۡضُهُمۡ أَوۡلِيَآءُ بَعۡضٍۚ إِلَّا تَفۡعَلُوهُ تَكُن فِتۡنَةٞ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَفَسَادٞ كَبِيرٞ ﴿٧٣﴾ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَهَاجَرُواْ وَجَٰهَدُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَٱلَّذِينَ ءَاوَواْ وَّنَصَرُوٓاْ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ حَقّٗاۚ لَّهُم مَّغۡفِرَةٞ وَرِزۡقٞ كَرِيمٞ ﴿٧٤﴾ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنۢ بَعۡدُ وَهَاجَرُواْ وَجَٰهَدُواْ مَعَكُمۡ فَأُوْلَٰٓئِكَ مِنكُمۡۚ وَأُوْلُواْ ٱلۡأَرۡحَامِ بَعۡضُهُمۡ أَوۡلَىٰ بِبَعۡضٖ فِي كِتَٰبِ ٱللَّهِۗ إِنَّ ٱللَّهَ بِكُلِّ شَيۡءٍ عَلِيمُۢ) [الأنفال: ٧٢ – ٧٥].

وكلما يتوحد أمر المسلمين على الأمر بالمعروف والخير بينهم، والنهي عن المنكر والشر، يتمتعون ببيئة فيها الخير والسعادة، يستفيد بها كل من يأوي إليها، وبذلك يصبح المجتمع الإسلامي مُرَبِّياً كبيراً للجيل، وحارساً عظيماً لِقِيَمِه الخلقية والسلوكية.

وقد أكَّد هذا المعنى رسولُ الله ﷺ في جُلّ أحاديثه، وعظّم شأنَ المجتمع والقيام بصلاحه، وحَذّر عن كل ما يُورث ضعفَه ويأتي بالشر فيه والضرر.

وأخرجه مسلمٌ عن أبي قلابة عن مالك بن الحويرث قال: أتينا رسولَ الله ﷺ، ونحن شَبَبَةٌ متقاربون، فأقمنا عنده عشرين ليلةً، وكان رسولُ الله ﷺ رحيماً رقيقاً، فظن أنّا قد اشتقنا أهلَنا، فسألَنا عن من تركنا من أهلنا فأخبرناه، فقال: «ارجعوا إلى أهليكم، فأقيموا فيهم، وعلّموهم، ومروهم، فإذا حضرتِ الصلاةُ فليؤذّن لكم أحدكم، ثم ليؤمكم أكبركم»[1].

[1] أخرجه القشيري، مسلم بن الحجاج القشيري النيسابوري، في **المسند الصحيح المختصر من السنن بنقل العدل عن العدل عن رسول الله** ﷺ، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، كتاب المساجد، باب: من أحق بالإمامة. ١/٤٦٥.رقم:٦٧٤.

وأخرج البخاري عن جرير بن عبد الله ﷺ قال: "بايعت رسول الله ﷺ على إقامة الصلاة، وإيتاء الزكاة، والنصح لكل مسلم"[1].

وأخرج الإمام مسلم عن تَمِيمٍ الدَّارِيِّ ﷺ، أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: « الدِّينُ النَّصِيحَةُ » قُلْنَا لِمَنْ قَالَ « لِلَّهِ وَلِكِتَابِهِ وَلِرَسُولِهِ وَلأَئِمَّةِ الْمُسْلِمِينَ وَعَامَّتِهِمْ »[2].

أخرج البخاري عن النعمان بن بشير ﷺ: عن النبي ﷺ قال: «مثل القائم على حدود الله والواقع فيها كمثل قوم استهموا على سفينة فأصاب بعضهم أعلاها، و بعضهم أسفلها، فكان الذين في أسفلها إذا استقوا من الماء مَرُّوا على مَن فوقهم فقالوا: لو أنا خرقنا في نصيبنا خرقاً و لم نُؤذ مَن فوقنا، فإن يتركوهم وما أرادوا، هلكوا جميعاً، وإن أخذوا على أيديهم نجوا ونجوا جميعاً[3]».

وإن العلاقة والمحبة بين المسلمين من أعظم مايُقَوِّي أمرَهم ويُصلح مجتمعَهم، وللوشائج والقربات والصلات أثر بالغ في الإصلاح والإرشاد، قال الله سبحانه: ﴿وَٱلَّذِينَ تَبَوَّءُو ٱلدَّارَ وَٱلۡإِيمَـٰنَ مِن قَبۡلِهِمۡ يُحِبُّونَ مَنۡ هَاجَرَ إِلَيۡهِمۡ وَلَا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمۡ حَاجَةً مِّمَّآ أُوتُواْ وَيُؤۡثِرُونَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمۡ وَلَوۡ كَانَ بِهِمۡ خَصَاصَةٌ ۚ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفۡسِهِۦ فَأُوْلَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُفۡلِحُونَ﴾ [الحشر: ٩].

وأخرج الإمام مسلم: عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «لا تدخلون الجنة حتى تؤمنوا، ولا تؤمنوا حتى تحابوا، أو لا أدلكم على شيء إذا فعلتموه تحاببتم؟ أفشوا السلام بينكم»[4].

---

[1] أخرجه البخاري، محمد بن إسماعيل الجعفي، في **الجامع الصحيح المسند من أمور رسول الله ﷺ وسننه وأيامه**، بشرح "فتح الباري"، كتاب العلم، باب الدين النصيحة...، ١/١٣٧، رقم: ٥٧.

[2] المصدر نفسه. كتاب: الإيمان باب: بيان أن الدين النصيحة ١/٧٤. رقم:٥٥.

[3] المصدر نفسه، كتاب: الشركة، باب: هل يقرع في القسمة؟ والاستفهام فيه، ٥/١٣٢، رقم:٢٤٩٣.

[4] المصدر نفسه، كتاب الإيمان، باب: بيان أنه لا يدخل الجنة إلا المؤمنون وأن محبة المؤمنين من الإيمان، وأن إفشاء السلام سبب لحصولها،١ /٧٤، رقم:٩٣ - ٥٤.

وأخرج أبو يعلى في مسنده: عن أبي المنهال، قال: حدثنا شهر بن حوشب، قال:كان منا رجل – معشر الأشعريين – قد صحب رسول الله ﷺ وشهد معه مشاهده الحسنة الجميلة، يقال له: مالك – أو ابن مالك ـــ شك عوف – فأتانا يوماً فقال: أتيتكم لأعلّمكم، وأصلّي بكم كما كان رسول الله ﷺ يصلي بنا، فدعا بجفنة عظيمة فجعل فيها من الماء، ثم دعا بإناء صغير، فجعل يفرغ في الإناء الصغير على أيدينا، ثم قال: أسبغوا الآن الوضوء! فتوضأ القوم، ثم قام فصلى بنا صلاة تامة وجيزة، فلما انصرف قال: قال لنا رسول الله ﷺ: «قد علمت أن أقواماً ليسوا بأنبياء، ولا شهداء، يغبطهم الأنبياء والشهداء بمكانهم من الله». فقال رجل من حجرة القوم ـــ أعرابي – قال: وكان يعجبنا إذا شهدنا رسول الله ﷺ أن يكون فينا الأعرابي؛ لأنهم يجترئون أن يسألوا رسول الله ﷺ ولا نجترئ. فقال: يا رسول الله! سمِّهم لنا؟ قال: فرأينا وجهَ رسول الله ﷺ يتهلّل قال: «هم ناس من قبائل شتى يتحابون في الله، والله إن وجوههم لنور، وإنهم لعلى نور ما يخافون إذا خاف الناس، ولا يحزنون إذا حزنوا»[1].

وقد أثنى النبي ﷺ في هذا الحديث قوماً من المسلمين، للتحابب بينهم، والوحدة، والجماعية فيهم، فقد أخرج الإمام البخاري: عن أبي بردة عن أبي موسى قال: قال النبي ﷺ: «إن الأشعريين إذا أرملوا في الغزو، أو قَلَّ طعامُ عيالهم بالمدينة؛ جمعوا ما كان عندهم في ثوب واحد، ثم اقتسموه بينهم في إناء واحد بالسوية، فهم مني، وأنا منهم»[2].

وأخرج الإمام مسلم في صحيحه: عن أبي صالح، عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «من نَفَّسَ عن مؤمن كربةً من كُرب الدنيا، نَفَّسَ الله عنه كربةً من كُرب يوم القيامة، ومن يَسَّرَ على معسر، يَسَّرَ الله عليه في الدنيا والآخرة، ومن ستر مسلماً ستره الله في الدنيا والآخرة، والله في عون العبد ما كان العبد في عون أخيه، ومن سلك طريقاً يلتمس فيه علماً سهَّلَ الله له به طريقاً إلى الجنة، وما اجتمع قوم في بيت من بيوت الله،

---

[1] أخرجه الموصلي، أبو يعلى أحمد بن علي التميمي، في **المسند**، في مسند حديث مالك أو ابن مالك٦، /٥٦. رقم: ٦٨٥٧.
[2] المصدر نفسه، كتاب الشركة، باب:الشركة في الطعام والنهد والعروض،٥ /١٢٩،١٢٨، رقم:٢٤٨٦.

يتلون كتاب الله، ويتدارسونه بينهم، إلا نزلت عليهم السكينة، وغشيتهم الرحمة، وحفَّتهم الملائكة، وذكرهم الله فيمن عنده، ومن بَطَّأ به عمله، لم يُسرع به نسبه»[1].

ولما كان للموافقة والوحدة أثر بالغ في تكوين الهوية الإسلامية للفرد والمجتمع معاً، أمر سبحانه وتعالى بالاعتصام والاتفاق بين المسلمين، والمؤاخاة بينهم، وأكّد عليهم أن يكونوا معاً في حياتهم، وأن يسمح بعضهم لبعض فيما شجر بينهم، قال تعالى: ﴿وَٱعْتَصِمُواْ بِحَبْلِ ٱللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُواْ ۚ وَٱذْكُرُواْ نِعْمَتَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنتُمْ أَعْدَآءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُم بِنِعْمَتِهِۦٓ إِخْوَٰنًا وَكُنتُمْ عَلَىٰ شَفَا حُفْرَةٍ مِّنَ ٱلنَّارِ فَأَنقَذَكُم مِّنْهَا ۗ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمْ ءَايَٰتِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ﴾ [آل عمران: ١٠٣].

ولو وقعت الفتنة بينهم، وأفضى بهم الأمر والتنازع حتى القتال، فالكل مأمورون بأن يُدافعوا الفتنةَ ويُطفئوا نيرانَها،فيقومون في وجه الخلاف بالإصلاح بين الفئتين، وثمة لو تبغي إحداهما على الأخرى بعد أن تصالحوا، فعليهم أن يخضعوها ولوبمدافعة قوتها والوقوع عليها؛لأن وحدة كلمة المسلمين أمرٌ ليس فوقه شيء، وقَلّما تساويها بُغية أومصلحةٌ أخرى.

قال تعالى: ﴿وَإِن طَآئِفَتَانِ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱقْتَتَلُواْ فَأَصْلِحُواْ بَيْنَهُمَا ۖ فَإِنْ بَغَتْ إِحْدَىٰهُمَا عَلَى ٱلْأُخْرَىٰ فَقَٰتِلُواْ ٱلَّتِى تَبْغِى حَتَّىٰ تَفِىٓءَ إِلَىٰٓ أَمْرِ ٱللَّهِ ۚ فَإِن فَآءَتْ فَأَصْلِحُواْ بَيْنَهُمَا بِٱلْعَدْلِ وَأَقْسِطُوٓاْ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُقْسِطِينَ ۝ إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُواْ بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ ۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾ [الحجرات: ٩ – ١٠].

---

[1] المصدر نفسه، كتاب الذكر والدعاء، والتوبة والاستغفار، باب: فضل الاجتماع على تلاوة القرآن وعلى الذكر. ٤/٢٠٧٤، رقم: ٣٨ – ٢٦٩٩.

وأخرج الإمام البخاري عن عبد الرحمن بن أبي بكرة عن أبيه: ذكر أن النبي ﷺ قعد على بعيره وأمسك إنسان بخطامه – أو بزمامه — قال: «أي يوم هذا؟» فسكتنا حتى ظننا أنه سيسَمِّيه سوى اسمه، قال: «أليس يوم النحر؟»، قلنا: بلى، قال: «فأي شهر هذا؟»، فسكتنا حتى ظننا أنه سيسميه بغير اسمه، فقال: «أليس بذي الحجة؟»، قلنا: بلى، قال: «فإن دماءكم، وأموالكم، وأعراضكم بينكم حرام كحرمة يومكم هذا، في شهركم هذا، في بلدكم هذا؛ ليبلغ الشاهدُ الغائبَ؛ فإن الشاهد عسى أن يُبلّغَ من هو أوعى له منه»[1].

وأخرج الإمام أبوداود في سننه: عَنْ عَمْرِو بْنِ شُعَيْبٍ، عَنْ أَبِيهِ، عَنْ جَدِّهِ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «الْمُسْلِمُونَ تَتَكَافَأُ دِمَاؤُهُمْ: يَسْعَى بِذِمَّتِهِمْ أَدْنَاهُمْ، وَيُجِيرُ عَلَيْهِمْ أَقْصَاهُمْ، وَهُمْ يَدٌ عَلَى مَنْ سِوَاهُمْ، يَرُدُّ مُشِدُّهُمْ عَلَى مُضْعِفِهِمْ، وَمُتَسَرِّعُهُمْ عَلَى قَاعِدِهِمْ، لاَ يُقْتَلُ مُؤْمِنٌ بِكَافِرٍ، وَلاَ ذُو عَهْدٍ فِى عَهْدِهِ »[2].

وأخرج الإمام البخاري ومسلم في صحيحيهما: عن أبي هريرة ﷺ، عن رسول الله ﷺ قال: «كل سُلامى من الناس عليه صدقة، كلّ يوم تطلع فيه الشمس، قال: يعدل بين الإثنين صدقة، ويعين الرجلَ على دابته فيحمله عليها، أو يرفع له عليها متاعه، صدقة. قال: والكلمة الطيبة صدقة، وكل خطوة يخطوها إلى الصلاة صدقة، ويميط الأذى عن الطريق صدقة[3]».

وأخرج الإمام أبو يعلى في مسنده: عن أنس بن مالك ﷺ أن النبي ﷺ قال: «ما من عبد مسلم أتى أخاً له يزوره في اللّه، إلا ناداه منادٍ من السماء: أن طبتَ وطابتْ لك الجنة، وإلا قال اللّه- تعالى- في ملكوت عرشه: عبدي زار فيَّ، وعليّ قِراه، و لم أرض له بقرى دون الجنة»[4].

---

[1] المصدر نفسه، كتاب العلم، باب: قول النبي ﷺ: رب مبَلَّغ أوعى من سامع، ١/ ١٥٧، رقم: ٦٧.

[2] أخرجه أبوداود، أبوداود سليمان بن الأشعث السجستاني، **كتاب السنن**، كتاب الجهاد، باب: في السرية ترد على أهل العسكر، ٣٣٢/٣، رقم:٢٧٥١.

[3] في صحيح البخاري بشرح فتح الباري، كتاب الجهاد، باب: من أخذ بالركاب ونحوه، ١٣٢/٦، رقم:٢٩٨٩، وفي صحيح مسلم، كتاب الزكاة، باب: بيان أن اسم الصدقة يقع على كل نوع من المعروف، ٦٩٩/٢، رقم: ١٠٠٩.

[4] المصدر نفسه، مسند ميمون بن سياه عن أنس، ٤٠٨/٣، رقم:٤١٢٦.

ولما كان القيام بإصلاح البيئة والمجتمع أمراً عظيماً عند الله ﷻ كان التسوّل لتخريبه وإفسادِه كذلك أمراً شديدا العقوبة في الدنيا والآخرة. قال الله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يُحِبُّونَ أَن تَشِيعَ ٱلْفَٰحِشَةُ فِى ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ ۚ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾ [النور: ١٩]، وأوصى ﷻ المسلمين أن لايصغوا إلى ما ينقله المنافقون إليهم من الاتهام والوقيعة في بعضهم؛ بل يُحسنون الظنَّ في إخوتهم المؤمنين فعساهم ـــ المنافقين ـــ يريدون النيل منهم بالإفساد بينهم. وقال: ﴿لَّوْلَآ إِذْ سَمِعْتُمُوهُ ظَنَّ ٱلْمُؤْمِنُونَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتُ بِأَنفُسِهِمْ خَيْرًا وَقَالُوا۟ هَٰذَآ إِفْكٌ مُّبِينٌ﴾[النور: ١٢].

هذه آيات من كتاب الله العزيز، وأحاديث رسول الله ﷺ توضح ما عليه أساس الوحدة الإسلامية، بأنها لا تتم إلا نتيجةً عن الاحترام، والتقدير، و لم تقم ولن تقوم إلا بالقِيم الخلقية، والنفسية؛ فالبيئة التي لا احترام فيها ولا تقدير، بل يسمح فيها للوقوع في عرض المسلمين، والنيل منهم بيئة قائمة على انهيار،لا ثبات لها.

ولايرضى الله لعباده، ولارسولُه لأمته أن يعيشوا عيشة كهذه، فيشهدون الأحوال الخلقية تنهار يوماً فيوماً، وهم مطمئنون على أنفسهم! بل السيل يغلبهم يوماً، فيسيل بهم معاً جميعاً، لو لم يقوموا بواجبهم تجاه تكوين المجتمع وإصلاحه، والحفاظ عليه من أيّ ضعف وانهيار.

النقطة الثانية: أهمية المجتمع في حياة الفرد المسلم، وآثاره في تربيته وتكوين شخصيته:

إن من البدهيّ أن الإنسان خُلق مدنيّ الطبيعة، يعيش مع أبناء جنسه وبين ظهرانيهم، ولايستطيع أن يخرج منهم إلى الأبد، كذلك بيّن الله ﷻ معالَم طريق حياة المسلم، وهي لاتتم إلا بقيامه بين مجتمع المسلمين، ومصاحبته معهم، يقضي حياته بينهم، ويؤدي ماعليه من واجباة نحو البيئة والمجتمع من الإحسان والخدمة والإنفاق، والصبر على مايصيبه أثناء ذلك.

وكذلك يقوم المسلم بالمساعدة مع إخوانهم في مصالحهم وأمورهم، ولايدعهم إلا لحاجة وعن استئذان، فيرجع إليهم على الفور من حاجته، وأن لايخالفهم فيما أجمعوا عليه من الأمر.

قال الله تعالى: ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَإِذَا كَانُواْ مَعَهُۥ عَلَىٰٓ أَمْرٍ جَامِعٍ لَّمْ يَذْهَبُواْ حَتَّىٰ يَسْتَـْٔذِنُوهُ ۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَسْتَـْٔذِنُونَكَ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ۚ فَإِذَا ٱسْتَـْٔذَنُوكَ لِبَعْضِ شَأْنِهِمْ فَأْذَن لِّمَن شِئْتَ مِنْهُمْ وَٱسْتَغْفِرْ لَهُمُ ٱللَّهَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ [النور: ٦٢].

وقال الله ﷻ: ﴿وَٱعْبُدُواْ ٱللَّهَ وَلَا تُشْرِكُواْ بِهِۦ شَيْـًٔا ۖ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًا وَبِذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَٰمَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينِ وَٱلْجَارِ ذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْجَارِ ٱلْجُنُبِ وَٱلصَّاحِبِ بِٱلْجَنۢبِ وَٱبْنِ ٱلسَّبِيلِ وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُكُمْ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ مَن كَانَ مُخْتَالًا فَخُورًا ﴿٣٦﴾ ٱلَّذِينَ يَبْخَلُونَ وَيَأْمُرُونَ ٱلنَّاسَ بِٱلْبُخْلِ وَيَكْتُمُونَ مَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ ۗ وَأَعْتَدْنَا لِلْكَٰفِرِينَ عَذَابًا مُّهِينًا﴾ [النساء: ٣٦ – ٣٧].

وقال تعالى: ﴿وَمَن يُشَاقِقِ ٱلرَّسُولَ مِنۢ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ ٱلْهُدَىٰ وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ ٱلْمُؤْمِنِينَ نُوَلِّهِۦ مَا تَوَلَّىٰ وَنُصْلِهِۦ جَهَنَّمَ ۖ وَسَآءَتْ مَصِيرًا﴾ [النساء: ١١٥].

وأخرج الإمام مسلم في صحيحه: عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ، أَنَّ رَجُلاً قَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ! إِنَّ لِي قَرَابَةً أَصِلُهُمْ وَيَقْطَعُونِي، وَأُحْسِنُ إِلَيْهِمْ وَيُسِيئُونَ إِلَيَّ، وَأَحْلُمُ عَنْهُمْ وَيَجْهَلُونَ عَلَيَّ. فَقَالَ: «لَئِنْ كُنْتَ كَمَا قُلْتَ، فَكَأَنَّمَا تُسِفُّهُمُ الْمَلَّ، وَلاَ يَزَالُ مَعَكَ مِنَ اللَّهِ ظَهِيرٌ عَلَيْهِمْ مَا دُمْتَ عَلَى ذَلِكَ »[1].

وأخرج الأئمة الستة في كتبهم، واللفظ لمسلم، عن أبي هريرة ﷺ، قال: قال رسول الله ﷺ: «صلاة الرجل في جماعة تزيد على صلاته في بيته، وصلاته في سوقه، بضعاً

[1] المصدر نفسه، كتاب: البر والصلة، باب: صلة الرحم،٤ /١٩٨٢، رقم: ٢٥٥٨.

وعشرين درجةً، وذلك أن أحدهم إذا توضأ فأحسن الوضوء، ثم أتى المسجد، لا ينهزه إلا الصلاة، لا يريد إلا الصلاة، فلم يخط خطوة إلا رفع له بها درجة، وحط عنه بها خطيئة، حتى يدخل المسجد، فإذا دخل المسجد كان في الصلاة ما كانت الصلاة هي تحبسه، والملائكة يصلون على أحدكم ما دام في مجلسه الذي صلى فيه، يقولون: اللهم ارحمه! اللهم اغفر له! اللهم تب عليه! ما لم يؤذ فيه، ما لم يحدث فيه» [1].

وأثنى ﷺ على كل من يأتي بما يُقَوِّي أمرَ الجماعة، ويُفضي إلى تشييد كلمة المسلمين والتحابب بينهم. فأخرج الإمام الترمذي: عن سعيد الطائي أبي البختري، أنه قال: حدثني كبشة الأنماري: أنه سمع رسول الله ﷺ يقول: «ثلاثة أقسم عليهن وأحدثكم حديثاً فاحفظوه»، قال: «ما نقص مال عبد من صدقة، ولا ظُلم عبد مظلمةً، فصبر عليها، إلا زاده الله عزاً، ولا فتح عبد بابَ مسألة، إلا فتح الله عليه باب فقر، أو كلمة نحوها. وأحدثكم حديثاً فاحفظوه»، قال: «إنما الدنيا لأربعة نفر: عبد رزقه الله مالاً وعلماً، فهو يتقي فيه ربَّه، ويصل فيه رَحِمَه، ويعلم لله فيه حقاً، فهذا بأفضل المنازل، وعبدٍ رزقه الله علماً، و لم يرزقه مالاً فهو صادق النية يقول: لو أن لي مالاً لعملت بعمل فلان، فهو بنيته فأجرهما سواء، وعبدٍ رزقه الله مالاً و لم يرزقه علماً، فهو يَخبط في ماله بغير علمٍ لا يتقي فيه ربَّه ولا يصل فيه رَحِمَه، ولا يعلم لله فيه حقاً، فهذا بأخبث المنازل، وعبدٍ لم يرزقه الله مالاً ولا علماً فهو يقول: لو أن لي مالاً لعملت فيه بعمل فلان، فهو بنيته فوِزرهما سواء». قال أبو عيسى: "هذا حديث حسن صحيح" [2].

وكان رسول الله ﷺ حريصاً على مواقع الاجتماع بين المسلمين ويهتم بها من صلاة الجماعة، والعيدين، والحج؛ حتى أمر النساء في زمانه ـــ حين الأمن من الفتن ـــ وهن مأمورات بلزوم البيوت، أن يشهدن الخيرَ والجمعَ. فأخرج الإمام مسلم في صحيحه عن أم

---

[1] المصدر نفسه، كتاب المساجد، باب:فضل صلاة الجماعة،١ /٤٥٩، رقم: ٦٤٩.

[2] أخرجه الترمذي، أبوعيسى محمد بن عيسى بن سورة، في **الجامع المختصر من السنن عن رسول الله ﷺ، ومعرفة الصحيح والمعلول، وما عليه العمل**. تحقيق: بشار عواد معروف، كتاب الزهد، باب:ماجاء: مثل الدنيا مثل أربعة نفر. ١٥٣/٤، رقم:٢٣٢٥.

عطية: قالت: أمرنا رسول الله ﷺ أن نُخرجهن في الفطر والأضحى، العواتق والحُيّض، وذوات الخدور؛ فأما الحُيض فيعتزلن الصلاة، ويشهدن الخيرَ ودعوةَ المسلمين. قلت: يا رسولَ الله! إحدانا لا يكون لها جلباب، قال: «لِتُلبسها أختها من جلبابها»[1].

وقد نهى ﷺ عن التفريق بين المسلمين بكل شدة، قلّما يُشهد مثلها. فأخرج الإمام مسلم في صحيحه، عن زيادبن عِلاقة، قال:سَمِعْتُ عَرْفَجَةَ قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: «إِنَّهُ سَتَكُونُ هَنَاتٌ وَهَنَاتٌ، فَمَنْ أَرَادَ أَنْ يُفَرِّقَ أَمْرَ هَذِهِ الأُمَّةِ، وَهْيَ جَمِيعٌ فَاضْرِبُوهُ بِالسَّيْفِ كَائِنًا مَنْ كَانَ »[2]. وفي رواية أخرى له: قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: «مَنْ أَتَاكُمْ وَأَمْرُكُمْ جَمِيعٌ عَلَى رَجُلٍ وَاحِدٍ يُرِيدُ أَنْ يَشُقَّ عَصَاكُمْ أَوْ يُفَرِّقَ جَمَاعَتَكُمْ فَاقْتُلُوهُ »[3].

وأخرج الإمام الترمذي: عن ابن عمر، قال: خطبنا عمر ﷺ بالجابية فقال: يا أيها الناس! إني قمت فيكم كمقام رسول الله ﷺ فينا فقال: "أوصيكم بأصحابي، ثم الذين يلونهم، ثم الذين يلونهم. ثم يفشوا الكذِب؛ حتى يحلف الرجل ولا يُستحلف، ويشهد الشاهد ولايُستشهد، ألا لايخلُوَنَّ رجلٌ بامرأة إلا كان ثالثهما الشيطان، عليكم بالجماعة وإيّاكم والفرقةَ؛ فإن الشيطان مع الواحد، وهو من الإثنين أبعد. من أراد بُحبُوحةَ الجنة، فليلزمِ الجماعةَ، من سرّته حسنتُه، وساءته سيئتُه فذلك المؤمن"[4].

النقطة الثالثة: مكانة الفرد المسلم في المجتمع الإسلامي، وأثره في تكوينه والحفاظ عليه، واهتمام العناية بشؤونه و تعظيم أموره:

وقد بَيَّنَ الله ﷻ بأن المسلمين جميعاً مأمورون بأن يقوموا بصالح أخٍ لهم، وإرشاده وتربيته، وأن يحبوه، ولايُوَهِّنوا أمرَه، وقال: ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُواْ بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ ۚ

---

[1] المصدر نفسه،كتاب صلاة العيدين،باب:ذكرإباحة خروج النساء في العيدين إلى المصلى.٦٠٦/٢، رقم: ٨٩٠.

[2] المصدر نفسه،كتاب: الإمارة،باب:حكم من فرق أمر المسلمين،١٤٧٩/٣،رقم:١٨٥٢.

[3] المصدر نفسه،كتاب: الإمارة،باب:حكم من فرق أمر المسلمين،١٤٨٠/٣،رقم:١٨٥٣.

[4] المصدر نفسه،كتاب:أبواب الفتن، باب:ماجاء في لزوم الجماعة، ٣٨/٤،رقم: ٢١٦٥.

وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمۡ تُرۡحَمُونَ) [الحجرات: ١٠]، وقال تعالى: (وَمَن يَقۡتُلۡ مُؤۡمِنًا مُّتَعَمِّدٗا فَجَزَآؤُهُۥ جَهَنَّمُ خَٰلِدٗا فِيهَا وَغَضِبَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِ وَلَعَنَهُۥ وَأَعَدَّ لَهُۥ عَذَابًا عَظِيمٗا) [النساء: ٩٣]. فنهى ﷻ في هاتين الآيتين عن كل ما يُسَبِّب التحقيرَ ويُثير البغضَ والشحناء بين المسلمين، فقال تعالى: (يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا يَسۡخَرۡ قَوۡمٞ مِّن قَوۡمٍ عَسَىٰٓ أَن يَكُونُواْ خَيۡرٗا مِّنۡهُمۡ وَلَا نِسَآءٞ مِّن نِّسَآءٍ عَسَىٰٓ أَن يَكُنَّ خَيۡرٗا مِّنۡهُنَّۖ وَلَا تَلۡمِزُوٓاْ أَنفُسَكُمۡ وَلَا تَنَابَزُواْ بِٱلۡأَلۡقَٰبِۖ بِئۡسَ ٱلِٱسۡمُ ٱلۡفُسُوقُ بَعۡدَ ٱلۡإِيمَٰنِۚ وَمَن لَّمۡ يَتُبۡ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ) [الحجرات: ١١].

وكذلك عَظَّم رسول الله ﷺ شأنَ المسلم والاعتناءَ بشؤونه، وأمرَ إخوتَه المسلمين أن يَكُفُّوا عنه، ويهتموا بأموره، فقد أخرج الإمام مسلم في صحيحه عن أبي هريرة ﷺ قال: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «لاَ تَحَاسَدُوا، وَلاَ تَنَاجَشُوا، وَلاَ تَبَاغَضُوا، وَلاَ تَدَابَرُوا، وَلاَ يَبِعْ بَعْضُكُمْ عَلَى بَيْعِ بَعْضٍ، وَكُونُوا عِبَادَ اللَّهِ إِخْوَانًا. الْمُسْلِمُ أَخُو الْمُسْلِمِ لاَ يَظْلِمُهُ، وَلاَ يَخْذُلُهُ، وَلاَ يَحْقِرُهُ. التَّقْوَى هَا هُنَا ». وَيُشِيرُ إِلَى صَدْرِهِ ثَلاَثَ مَرَّاتٍ «بِحَسْبِ امْرِئٍ مِنَ الشَّرِّ أَنْ يَحْقِرَ أَخَاهُ الْمُسْلِمَ،كُلُّ الْمُسْلِمِ عَلَى الْمُسْلِمِ حَرَامٌ، دَمُهُ، وَمَالُهُ، وَعِرْضُهُ »[1].

وأخرج أيضاً عن أبي هريرة ﷺ: عن النبي ﷺ: أن رجلاً زار أخاً له في قرية أخرى، فأرصد الله له على مدرجته ملكاً، فلما أتى عليه قال: أين تريد ؟ قال أريد أخاً لي في هذه القرية، قال: هل لك عليه من نعمة تربها ؟ قال: لا غير أني أحببته في الله ﷻ، قال: فإني رسول الله إليك، بأن الله قد أحبك كما أحببتَه فيه[2].

وأخرج أيضاً عن إسحاق بن أبي طلحة، حدثني أنس بن مالك (وهو عم إسحاق) قال: "بينما نحن في المسجد مع رسول الله ﷺ إذ جاء أعرابي، فقام يبول في المسجد، فقال أصحاب رسول الله ﷺ: "مه مه"، قال: قال رسول الله ﷺ: «لا تزرموه دعوه»، فتركوه

[1] المصدر نفسه، كتاب: البر والصلة، باب: تحريم ظلم المسلم وخذله واحتقاره،٤ /١٩٨٦، رقم:٢٥٦٤.
[2] المصدر نفسه، كتاب: البر والصلة، باب: في فضل الحب لله،٤ /١٩٨٨. رقم: ٢٥٦٧.

حتى بال. ثم إن رسول الله ﷺ دعاه، فقال له: «إن هذه المساجد لا تصلح لشيء من هذا البول، ولا القذر؛ إنما هي لذكر الله ﷻ، والصلاة، وقراءة القرآن» أو كما قال رسول الله ﷺ. قال: فأمر رجلاً من القوم، فجاء بدلو من ماء، فشَنَّه عليه [1].

فكان هذا مَوقِفُ رسولِ الله ﷺ من أعرابيٍ بالَ في مسجده رعايةً لأمره، وحاجته، وعَلّم الصحابةَ كذلك ماينبغي لهم أن يفعلوه في مثل هذه المواقف.

وأخرج عن أبي بردة عن أبي موسى ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «المؤمن للمؤمن كالبنيان يشدّ بعضه بعضاً» [2].

وأخرج كذلك عن النعمان بن بشير ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «مثل المؤمنين في توادهم وتراحمهم وتعاطفهم مثل الجسد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى» [3].

وأورد الهيثمي في "مجمع الزوائد":عن ابن عباس ﷺ قال: "خطب رسول الله ﷺ خطبة أسمع العواتق في خدورهن، فقال: «يا معشر من آمن بلسانه و لم يدخل الإيمان قلبَه، لاتؤذوا المؤمنين، ولا تتبعوا عوراتهم؛ فإنه من يتبع عورة أخيه المسلم، هتك الله ستره، ومن يتبع عورته يفضحه، ولو في جوف بيته». رواه الطبراني ورجاله ثقات [4].

أخرج أبوداود في سننه: عن أبي خراش السُلمي: أنه سمع رسول الله ﷺ يقول: «من هجر أخاه سنة فهوكسفك دمه» [5].

---

[1] المصدر نفسه، كتاب: الطهارة، باب: وجوب غسل البول، ١ /٢٣٧. رقم: ٢٨٥.

[2] المصدر نفسه، كتاب: البر والصلة، باب: تراحم المؤمنين وتعاطفهم، ١٩٩٩/٤. رقم: ٢٥٨٥.

[3] المصدر نفسه، كتاب: البر والصلة، باب: تراحم المؤمنين، ١٩٩٩/٤ــ ٢٠٠٠، رقم: ٢٥٨٦.

[4] أورده الهيثمي، نور الدين علي بن أبي بكر الهيثمي، في **مجمع الزوائد ومنبع الفوائد**، كتاب: الأدب، باب: ماجاء في الغيبة والنميمة، ١٧٧/٨، رقم: ١٣١٤٢.

[5] المصدر نفسه، كتاب: الأدب، باب: في من يهجر أخاه المسلم،٥ /٣١٩، رقم:٤٨٧٩.

أخرج الإمام مسلم في صحيحه: عَنْ أَبِى وَائِلٍ عَنْ عَبْدِ اللَّهِ ﷺ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «إِذَا كُنْتُمْ ثَلاَثَةً فَلاَ يَتَنَاجَى اثْنَانِ دُونَ الآخَرِ حَتَّى تَخْتَلِطُوا بِالنَّاسِ مِنْ أَجْلِ أَنْ يُحْزِنَهُ»[1].

وأخرج الإمام البخاري في صحيحه: عن أبي هريرة ﷺ قال: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: «حَقُّ الْمُسْلِمِ عَلَى الْمُسْلِمِ خَمْسٌ رَدُّ السَّلاَمِ، وَعِيَادَةُ الْمَرِيضِ، وَاتِّبَاعُ الْجَنَائِزِ، وَإِجَابَةُ الدَّعْوَةِ، وَتَشْمِيتُ الْعَاطِسِ».[2].

وأخرج الإمام مسلم:عَنْ صَفْوَانَ - وَهُوَ ابْنُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ صَفْوَانَ - وَكَانَتْ تَحْتَهُ الدَّرْدَاءُ، قَالَ: قَدِمْتُ الشَّامَ فَأَتَيْتُ أَبَا الدَّرْدَاءِ فِى مَنْزِلِهِ، فَلَمْ أَجِدْهُ، ووَجَدْتُ أُمَّ الدَّرْدَاءِ، فَقَالَتْ: أَتُرِيدُ الْحَجَّ الْعَامَ؟ فَقُلْتُ: نَعَمْ، قَالَتْ: فَادْعُ اللَّهَ لَنَا بِخَيْرٍ؛ فَإِنَّ النَّبِىَّ ﷺ كَانَ يَقُولُ: «دَعْوَةُ الْمَرْءِ الْمُسْلِمِ لأَخِيهِ بِظَهْرِ الْغَيْبِ مُسْتَجَابَةٌ، عِنْدَ رَأْسِهِ مَلَكٌ مُوَكَّلٌ،كُلَّمَا دَعَا لأَخِيهِ بِخَيْرٍ، قَالَ الْمَلَكُ الْمُوَكَّلُ بِهِ: آمِينَ وَلَكَ بِمِثْلٍ »[3].

وقد عَظَّم الله ﷻ شأنَ من يقوم بفكّ الأسارى الذين في أيدي الكافرين والظالمين، وبعتق الرقبة، والإطعام في يوم المشكلة والجوع، والإحسان باليتيم والفقير المدفوع من الأبواب، والمطروح في الطرقات، فهذه أعمال عظيمة، وها هي خصائل يحبها الله ورسوله أن يتحلّى بها مجتمعُ المسلمين، فهُمُوْا جديرون به قبل كل أحد، وهُمُوْا مأمورون به.

قال الله ﷻ: ﴿فَلَا ٱقْتَحَمَ ٱلْعَقَبَةَ ﴿١١﴾ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا ٱلْعَقَبَةُ ﴿١٢﴾ فَكُّ رَقَبَةٍ ﴿١٣﴾ أَوْ إِطْعَٰمٌ فِى يَوْمٍ ذِى مَسْغَبَةٍ ﴿١٤﴾ يَتِيمًا ذَا مَقْرَبَةٍ ﴿١٥﴾ أَوْ مِسْكِينًا ذَا مَتْرَبَةٍ﴾ [البلد: ١١ - ١٦].

---

[1] المصدر نفسه، كتاب: السلام، باب: تحريم مناجاة الإثنين دون الثالث، ١٧١٨/٤، رقم: ٢١٨٤.

[2] المصدر نفسه، كتاب: الجنائز، باب: الأمر باتباع الجنائز، ١١٢/٣، رقم: ١٢٤٠.

[3] المصدر نفسه، كتاب: الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار، باب: فضل الدعاء للمسلمين بظهر الغيب، باب،٢٠٩٤/٤، رقم: ٢٧٣٣.

وعن أبي هُرَيرة ﷺ "قال النبي ﷺ: «أَيُّمَا رَجُلٍ أَعْتَقَ امْرَأً مُسْلِمًا اسْتَنْقَذَ اللَّهُ بِكُلِّ عُضْوٍ مِنْهُ عُضْوًا مِنْهُ مِنَ النَّارِ» [1].

وعن شُرَحْبِيلَ بْنِ السِّمْطِ ، قَالَ : قُلْتُ لِكَعْبٍ: يَا كَعْبَ بْنَ مُرَّةَ! ، حَدِّثْنَا عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَاحْذَرْ ، قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: «مَنْ أَعْتَقَ امْرَأً مُسْلِمًا ، كَانَ فِكَاكَهُ مِنَ النَّارِ يُجْزِئُ بِكُلِّ عَظْمٍ مِنْهُ عَظْمٍ مِنْهُ ، وَمَنْ أَعْتَقَ امْرَأَتَيْنِ مُسْلِمَتَيْنِ ، كَانَتَا فِكَاكَهُ مِنَ النَّارِ يُجْزِئُ بِكُلِّ عَظْمَيْنِ مِنْهُمَا عَظْمٌ مِنْهُ» [2].

وهذا واجب المسلمين كُلّهم أن يقوموا بفَكِّ الأسير، ويخلّصوه من أيدى الظَلَمة والكفرة، فالمسلم أخو المسلم، يُنفق عليه كما يُنفق على نفسه، ويشفق عليه كما يشفق على نفسه. وإذا كان لا يحب أن يصبح مقهوراً، مذلولاً، مهجوراً بين الأيدي الغاشمة الخينة الظلمة، فلن يرضى لأخيه أن يُعاني مثل هذه الشدائد والمحن.

فقد أخرج الإمام مسلم عن سالم أبيه: أن رسول الله ﷺ قال: «المسلم أخو المسلم، لا يظلمه، ولا يُسَلّمه. من كان في حاجة أخيه كان الله في حاجته، ومن فَرَّجَ عن مسلم كربةً؛ فَرَّجَ الله عنه بها كربةً من كُرب يوم القيامة، ومن ستر مسلماً؛ ستره الله يوم القيامة» [3].

وأخرج الإمام أحمد في مسنده عَنْ مَسْلَمَةَ بْنِ مُخَلَّدٍ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: « مَنْ سَتَرَ مُسْلِماً فِى الدُّنْيَا؛ سَتَرَهُ اللَّهُ ﷻ فِى الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ، وَمَنْ نَجَّى مَكْرُوباً؛ فَكَّ اللَّهُ عَنْهُ كُرْبَةً مِنْ كُرَبِ يَوْمِ الْقِيَامَةِ، وَمَنْ كَانَ فِى حَاجَةِ أَخِيهِ؛ كَانَ اللَّهُ ﷻ فِى حَاجَتِهِ » [4].

---

[1] أخرجه البخاري في الصحيح، في كتاب الحج، باب المحصر وجزاء الصيد، برقم: (٢٣٤٦).

[2] أخرجه ابن ماجه في السنن، في أبواب العتق، باب العتق، برقم: (٢٥٢٢).

[3] صحيح مسلم، كتاب: البر والصلة، باب: تحريم الظلم، ١٩٩٦/٤، رقم:٢٥٨٠.

[4] أخرجه أحمد، أبو عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل الشيباني، في **المسند**، تحقيق: أبو المعاطي،أحمد عبد الرزاق عيد، مسند مسلمة بن مخلد، ٧٨٥/٥، رقم:١٧٠٨٤.

فعلَّم رسول الله ﷺ أمته بأن تُعظّم شأنَ أحدٍ منهم، وتُوقره، وتُقدِّر له، فهو أخوهم، وله حق واجب عليهم، فكلما يقومون به يقومون عن واجب عليهم من غير منة وإحسان، وهذا يُورث المحبةَ بين قلوب المسلمين، والوحدةَ فيهم، ويُفضي إلى الطاعات والخيرات، وينهى بالفعل عن المعاصي والمنكرات.

وبهذا يتم تكوين مجمتع إسلاميّ اجتمعوا على مرضات الله وبركاته، تنْزل عليهم الرحمة والسكينة، والطمأنينة في قلوبهم في الدنيا، ولهم البشرى في الآخرة بالفوز بدرجات النعيم، وذلك هو الفوز العظيم.

مصادر ومراجع البحث:

١. **الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله ﷺ وسننه:** للإمام أبي عبد الله محمد بن إسماعيل الجعفي مولاهم البخاري، بشرح فتح الباري للحافظ ابن حجر، ترقيم: الأستاذ محمد فؤاد عبد الباقي، مراجعة: الشيخ عبد العزيز بن عبدالله بن باز، ط: دارالفكر، بيروت، دون تاريخ النشر.

٢. **المسند الصحيح المختصر من السنن بنقل العدل عن العدل عن رسول الله ﷺ:** للإمام أبي الحسين مسلم بن الحجاج بن مسلم القشيري النيسابوري، تحقيق: الأستاذ محمد فؤاد عبدا لباقي، ط: تصوير دار الكتب العلمية، بيروت، دون تاريخ النشر.

٣. **كتاب السن:** للإمام أبي داود سليمان بن الأشعث الأزدي السِجستاني، تحقيق: الشيخ محمد عوامة،ط: مؤسسة الريان، بيروت، الطبعة الثانية، ١٤٢٥هـ.

٤. **الجامع المختصر من السنن عن رسول الله ﷺ، ومعرفة الصحيح والمعلول، وماعليه العمل:** للإمام أبي عيسى محمد بن عيسى بن سورة الترمذي، تحقيق: الدكتور بشار عواد معروف، ط: دارالغرب الإسلامي، بيروت، الطبعة الثانية، ١٩٩٨ م.

٥. **المسند:** للإمام أبي عبد الله أحمد بن محمد بن حنيل الشيباني، تحقيق: السيد أبو المعاطي النوري، أحمد عبد الرزاق عيد، ط: عالم الكتب، بيروت، الطبعة الأولى ١٤١٩هـ.

٦. **المسند:** للإمام أبي يعلى أحمد بن علي بن المثنى التميمي الموصلي، تحقيق: مصطفى عبدالقادر عطا، ط: دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١٨هـ.

٧. **مجمع الزوائد ومنبع الفوائد**: للحافظ نور الدين علي بن أبي بكر الهيثمي، تحقيق: عبد الله محمد الدرويش، ط: دارالفكر، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٢٥هـ.
٨. **تفسير القرآن العظيم**: للإمام أبي الفداء إسماعيل بن كثير القرشي الدمشقي، ط: دارالفكر، بيروت، الطبعة الأولى، دون تاريخ النشر.